رواية هذا العدد

انه الخير يباري انه الشر

بقلم حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة أسمى طوبي

رآها نائمة في ظل بعض الاشجار بينما كان يتنزه في سيارته الفخمة فما جذبه اليها سوى ثياب رثة وجواد جميل منحنٍ فوقها كأنه يقيها طواري الحدثان : على أنه ما اقترب منها حتى بدا له وجه فتاة في الرابعة عشرة تكاد تكون طفلة جذابة المحيا جميلة الملامح جمالا لا تسبغه الطبيعة الا على من اقترب منها فعاش في احضانها ولم يكن اللورد سيسل بالقاسي الفؤاد فعطف على بؤسها الظاهر وايقظها ليعلم جلية أمرها فاخبرته أنها وحيدة في العالم فقدت جدها العم مارسل صاحب المزرعة الواسعة التي تبعد عن المدينة مسيرة يوم كامل . وقد استولى ورثته على المزرعة والمنزل وكل ما هنالك من المقتنيات وطردوها بقسوة فامتطت جوادها وسارت لا تدري الى أين حتى وصلت الى هذا المكان وقد شعرت بتعب شديد فجلست لتستريح ولم تشعر الا وهو يوقظها من سباتها . ثم تشبثت به وقالت بسذاجة الاطفال :

أرجوك أن لا تتركني وحيدة هنا لان الليل آت واني أخاف الثعالب التي كنت أراها أحياناً حول المزرعة.

ولم يسع اللورد سيسل الا ان يجلسها بجانبه في السيارة ويربط جوادها خلفها ويرجع بها الى المدينة على أن خاطراً عنّ له اثناء الطريق فما لبث أن أوقف سيارته أمام فندق حقير ودخل بالفتاة فخاطب صاحب الفندق بشأنها وتم الاتفاق على بقائها هنالك كخادمة . ولم يكن للفتاة رأي ازاء ما رأت من حنان اللورد على أنها طلبت منه معرفة اسمه لعلها تحتاج لمساعدته فاعطاها أحدى بطاقاته عن طيبة خاطر ثم ودعها وسار راجعاً الى قصره قانعاً بما فعل

على أن الاقدار لم تكن بالقانعة فقد القت الفتاة راعوث في طريقه لغرض أسمى

وهكذا لم يمض على رجوعه الى قصره سوى شهر واحد حتى قرع بابه احد رجال البوليس يحمل الفتاة نفسها وهي بحال يرثى لها من الضعف والكلال وقد اخبره انهم وجدوها شبه مائتة في ضواحي المدينة ورأوا البطاقة في يدها فقرروا احضارها اليه . ثم ودع وسار الى شؤونه وبقيت الفتاة جالسة على مقعد منخفض تراقب وجه اللورد الذي بدا عليه الاستياء ثم سألها بحدة عن سبب تركها الفندق وقد كانت به على خير حال، على أنها لم تجب حالا بل نهضت بتثاقل وبمنتهى السذاجة وكشفت عن ذراعيها ورجليها وأرته آثار ضرب شديد عليها ولما رأت تأثره اجهشت بالبكاء وتمتمت تقول

لقد كانوا يضربونني بقسوة ولم أحصل على طعام سوى ما كنت أسرقه من طعام الكلب ففكرت بالالتجاء اليك وهربت على جوادي ولكنه مات في الطريق، آه نعلي كبدرتك فعفواً وابقني هنا فاخدمك قالت هذا وكما يلقي الطفل بنفسه على والدته القت بنفسها عليه محاولة تطويقه بذراعيها على أنه أبعدها بلطف وقال وهو يبتسم

ولكن ليس في القصر سيدات ياراعوث وهذا ما يمنع بقاؤك هنا

سيدات ؟ وما شأني والسيدات اني أريد أن أخدمك أنت ، سأشتغل كأربعة رجال وابذل جهدي لجعلك سعيداً فابقني هنا ارجوك اسمح بذلك

وفكر اللورد سيسل طويلا وقال : ستبقى في القصر نعم ستبقى بينما يجد لها عملا مناسباً عند بعض اصدقائه . وقرأت الفتاة علامات الرضى في عينيه فقفزت طربا وضحكت ضحكة رن صداها في انحاء القصر كالموسيقى العميقة الرنانة . وهكذا دخلت راعوث القصر .

مر ثلاثة شهور على الحوادث المار ذكرها تغير بها القصر تغيراً ظاهراً فقد زرعت الزهور الجميلة في أرجائه وفتحت نوافذه لأشعة الشمس الجميلة وفوق كل ذلك فقد كانت ابتسامات راعوث وتغريدها انجا كي تغريد البلابل أبدع ما في القصر . كانت تحب اللورد الشاب كما يحب الكلب الامين مولاه وطالما حملت الطعام الى غرفته في الايام الباردة خوفا عليه من أذى البرد وطالما جلست عند قدميه وهو يتناوله محاولة قراءة ما يتجلى على وجهه ثم تتركه لترجع بعد برهة حاملة بعض اواني الزهور

الجميلة لتضعها امامه بجانب الطعام . ومتى انتهى منه أسرعت باحضار ثيابه لتلبسه اياها وتصر على الباسه الحذاء بيديها وكم حاول منعها باظهار الكدر حينا والعنف أحيانا فلم يجده ذلك نفعاً وعلى الاجمال فان اخلاصها له كان لاحد له

أقبل الشتاء ومر أكثره وأصبح اللورد سيسيل لا يفارق قصره إلا نادراً ولحظ الخدم ذلك فتهامسوا بينهم عدا راعوث التي لم تكن تدري شيئا من أخلاق السيد ومن اين لها أن تعلم بان ورود وجنتيها الجميلتين وبريق عينيها الفاتنتين وهندامها الباريسي الجميل ثم ابتساماتها الساحرة واخلاصها المتناهي كل هذه العوامل جعلت سيد القصر يرى الجنة في قربها ويقابل طهرها الملائكي بفساد غانيات باريس وخبثهن على أن المعجزة قد تمت واقترن أعظم وجهاء باريس بالقروية الجميلة

انقطع اللورد سيسيل عن زيارة منتديات باريس وقد أشاع بين أصدقائه بانه مسافر الى ايطاليا لقضاء فصل الربيع فيها وظهر بعد ذلك في المجتمع الباريسي ثانية ومعه زوجته الفاتنة التي لم يعلم أحد من أين أتت سوى الكونت شارل صديق سيسيل الحميم الذي اكبر الأمر اولا ولكنه ما رأى راعوث حتى هنأ صديقه قائلا انه يفضلها على كل فتاة سواها .

وفتح سيسيل أبواب قصره وأقبل الاصدقاء يهنئونه وكان بين الوافدين للتهنئة غانية من غانيات باريس تدعى روزلين كان لها مع سيسيل علاقة انقطعت بزواجه فأقبلت تدعي تهنئة العروسين ولو انكشف فؤادها لظهرت فيه براكين الغضب تغلي غليانا وقد حاولت الاجتماع به مراراً فكان يتجاهل ذلك الى ان رأته في أحدى ممرات القصر فامسكت بيده وأقبلت تحادثه بغنج وصدف دخول زوجته عندئذ فراعها ما رأت وألقت على روزلين نظرة ملؤها الاحتقار وعادت من حيث أتت وحاولت روزلين نفث سمومها فالتفتت نحو سيسيل وقالت . ان هذا الطراز من النساء يكثر وجوده في الارياف فاهنئك بهذه الزوجة النادرة المثال . ثم غادرت الممر والنار في فؤادها

سمعت راعوث ما قالته روزلين وكانت قد علمت من قبل بانها تسبب لزوجها الخجل أحيانا لجهلها أصول المعاملات الباريسية وعلى الاخص القراءة التي كانت تجهلها

اتم الجهل فاظهرت افكارها لصديق زوجها الحميم الكونت شارل الذي طمأنها بعد أن أخذ على عاتقه أمر تعليمها كما تجهله وهكذا أصبحت تزوره دائما لتستفيد من بحر علمه الواسع مخفية الامر عن زوجها ظانة ان سروره سيكون أعظم متى فاجئته باظهار ما تعلمته

رجعت روزلين الى قصرها وامرت باقفال أبوابه في وجه الزائرين لانها كانت تود الاختلاء بنفسها للتفكير بطريقة تنتقم بها من سيسيل وزوجته المتغطرسة التي لم تتنازل لالقاء التحية عليها ولم تلبث أن أخذت القلم وسطرت مايأتي

حبيبي سيسيل !

رأيتك فهاجت فؤادي الذكرى القديمة ذكرى اوقات ملؤها العذوبة والهناء أفلا تنعم بزورة تنعش بها قلباً لا يسكنه سواك بلى انك ستأتي لان روزلين تدري ما يكنه فؤادك الرقيق فاهلا ومرحباً ساعة أراك بها

محبتك روزلين

ثم سلمت الكتاب لخادم مخلص لها وأوصته بايصاله الى صاحبه يداً بيد. وكانت تلك هي المرة الاولى التي سول الشيطان بها لسيسيل خيانة زوجته الطاهرة والمرة الاولى التي تقدم اليها بها معتذراً بأنه مدعو لبعض المهمات وسيرجع عاجلا ثم قبلها وانصرف ولم يخالج صدر راعوث أدنى ارتياب بل أخرجت من صدرها كتابا كانت قد خطت فيه بأحرف معوّجة بضعة أسطر وجلست تحاول التمرن على قراءتها وكانت كما يأتي :

(ا) أحبه ولا أحيا إلا لاجله

(ب) بماذا أكافيء حنوه هل بحياتي ؟ انها حقيرة بجانب هنائه

(ت) تقودني الذكرى الى أيام البؤس ـ الى عالم كنت به وحيدة تعسة ثم الى ملاك كريم يقودني الى مراتع الأمن والسعادة

وكان الكتاب مملوءاً بفقرات كهذه قرأت راعوث معظمها ثم اقفلت الكتاب وذهبت لتنام

لم يكن سيسيل ينوي وصل ما انقطع مع روزلين وفكر أن تلك الزيارة ستكون

الاخيرة من نوعها على أنه ما وطيء عتبة قصرها حتى انتصر الرجل المتغلب على الرجل المخلص وغابت صورة راعوث من أمامه وحلت محلها صورة روزلين الحبيبة الاولى . ومر أشهر على تلك الزيارة ذاقت به راعوث طعم التعاسة فقد رأت عينها النقادة تغيراً باخلاق زوجها . نعم أنه لم يقلل من ملاطفته لها ولكنها كانت ترى التكلف باديا في حركاته وانباأها تغيبه المتواصل عن القصر أن هنالك ما تخشاه . فتشت في غرفته ولم يكن حذراً لعلمه بحبها القراءة فعثرت على التحرير الاول وقرأته فعرفت معنى التعاسة لقد ظنت أنها عانت أشد آلام الحياة ولكنها لم تكن تدرك حقاً ماهي الآلام حتى ساعتئذ فقد شعرت بروحها تحتشرج في صدرها . بكت وانتحبت ثم فكرت وفكرت طويلا وأخيراً قررت زيارة روزلين فترجوها وتتضرع اليها . لتجثو أمامها اذا اقتضى الامر متوسلة اليها بأن تعيد اليها زوجها . أمامها معظم شبيبة باريس ممن لا نساء لهم فلتختر من تشاء وتدع لها زوجها الوحيد وهكذا سارت على غير هدى تقصد القصر

دخلت راعوث وجلست في البهو الفخم وطلبت رؤية سيدة المنزل ولكن روزلين التي رأتها من النافذة ولعلها علمت قصدها من تلك الزيارة صممت على اذلالها فلم تحضر لرؤيتها حالا وانتظرت المسكينة على أحر من الجمر وقد شعرت بالمذلة تحيط بها في منزل كهذا فلم تشعر إلا ودموعها تتساقط على وجنتيها وفتح الباب عندئذ ودخل صبي لعوب في الثامنة من عمره وأسرع نحو السيدة الغريبة يقصد محادثتها على عادة الأطفال ولكنه رأى دموعها فوقف متردداً ثم اقترب منها يقول :

لماذا تبكين؟ أرجوك أمسحي دموعك وسأعطيك لعبة تلعبين بها دعيني أقبلك أولا

ورأت راعوث وجهاً ملائكياً منحنياً يقبلها فشعرت بفؤادها يعطف عليه فضمته الى صدرها وقبلته أحر القبلات وكان هذا عند دخول سيدة القصر التي دعت الخادم حالا وأمرتها بأخراج الصبي ثم تحولت نحو راعوث وقالت بمنتهى العظمة ماذا تريدين؟

وحاولت راعوث كبح عواطفها ازاء ما رأت من احتقار وأجابت بصوت مرتجف لقد أتيت أرجوك لاجل سيسيل آه إنك رقيقة العواطف . أن لك ابناء ولا شك انك ذقت الهناء العائلي فارجعيه لي ، آه أرجوك!

على أن نظرة منها الى روزلين الواقفة أمامها كالهة منتقم أوقفت الكلمات في فمها فما استطاعت اتمامها وعلى الأخص عند ما سمعتها تقول :

انك بلهاء ولا شك لا شأن لي مع حمقاء نظيرك

ثم ابتسمت ابتسامة ملؤها الانتصار ورجعت من حيث أتت تاركة راعوث جامدة كتمثال تود لو أن الارض فتحت فاها وابتلعتها وما هي الا برهة حتى دخلت الخادم بأمر سيدتها لتخرجها من القصر ولكنها ما سارت خلفها بضع خطوات حتى تخاذلت ركبتاها وسقطت لا تعي شيئاً وأسرع الخدم فايقظوها بالمنعشات وما فتحت عينيها حتى رأت الصبي الصغير بجانبها ينظر اليها بمنتهى العطف كأنه يعوضها ما أصابها من الغبن بسبب والدته ثم رأته قد رفع بيده حصاناً خشبياً كان أعز العابه عليه وقدمها لها قائلا

خذيه انه لي واني اريد أن أعطيك اياه . أرجوك خذيه . عندي العاب كثيرة غيره . ورأت تشبث الصبي بها والحاحه عليها فاخذت الالعوبة وقبلت الولد قبلات الحنان وسارت الى حيث أتت ومن أين لها أن تدري انها تحمل بين يديها السعادة والهناء المفقود

بعد ما دخلت رزولين لمقابلة راعوث وطرد الولد من البهو سار الى غرفة والدته وهناك تناول حصانه الخشبي وأوقفه على طاولة بعيدة وكان للحصان فم واسع كالهوة صنع خصيصاً كهدف ليتمرن الاولاد على رمي ما يشاءون فيه وكان الولد قد زاول الأمر حتى برع فيه فابتدأ يتناول ما تصل اليه يده من أوراق فيلفها كالطابة ويقذف بها فتدخل جوف الحصان فيصفق الولد طرباً وما زال هذا شأنه حتى رمى كل ما كان على مكتب والدته من أوراق كان بينها تحرير قد حررته ذلك النهار لترسله الى حبيب لها وهذا نصه :

عزيزي! تعال الي فانا بشوق اليك لرؤياك : تقول بأني استخلصت سيسيل لنفسي فلم أعد أعير غيره اهتماما وذلك حباً به ؟ فما أجهلك . انني اتلاعب بقلب سيسيل الاحمق لا حباً به ولكن سخرية منه وانتقاما من زوجته المتغطرسة أما أنت فمنزلتك في فؤادي هي هي واني على الدوام المخلصة لك

روزلين

دخلت روزلين غرفتها بعد طردها راعوث ورأت ما أحدثه ابنها بأثاث الغرفة من الخلل فضربته وتناولت الحصان فافرغت ما في جوفه من الاوراق سوى ذلك التحرير الداخل الى جوفه ورمت به الى الخارج وركض الصبي فاخذ العوبته وسار الى غرفته حزيناً على أنه رأى في طريقه تلك السيدة التي قبلته ورآها في حزن شديد فدنا منها وأعطاها الحصان كأن ارادة عليا كانت تحثه على فعل ما فعل

ودخل سيسيل بعد خروج زوجته بساعة وجلس على المقعد الذي كانت قد جلست عليه ولو درى بالمأساة التي مثلت هناك لتفتت فؤاده غير أن روزلين كانت أمكر من أقلتها الأرض فاستقبلته بمنتهى الود ولم تلبث حتى جالت واياه في حديث ألمحت به من طرف خفي الى خيانة زوجته وانها تغتنم فرصة غيابه عن القصر فتقضي اكثر اوقاتها في منزل صديقه شارل وهي حيا بمصلحته قد أرسلت خدمها يفتنون أثرها فانبأوها بالأمر . سمع سيسيل ذلك فثار ثائره وأقسم أغلظ الايمان بأنه اذا صح ما ذكرت فان رواعوث ستطرد من قصره وسيطلقها بأسرع وقت على انها أشارت عليه بالتروي قائلة ان الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم موعد زيارة زوجته لشارل فليتبعها لتحقق الامر .

رجعت راعوث الى القصر يملأ فؤادها يأس قاتل وقد شعرت بدماغها يلتهب التهاباً فودت ملازمة الفراش لولا انها ودت استشارة صديقها الحميم الكونت شارل بالأمر وهكذا ما أزفت الساعة الرابعة حتى كانت في طريقها الى قصره ومن اين لها ان تعلم ان زوجها كان يتبع خطواتها عن بعد . وما وصلت حتى استقبلها شارل راثياً لبلواها وعلى الاخص عند ما جلست تحدثه عن زيارتها لروزلين والزفرات تقطع كلماتها . وشعر الكونت بضوضاء في الخارج فخرج ليرى ماذا جرى وكان سيسيل قد وصل عندئذ وحاول الدخول عنوة على أن الخادم منعه وقد ظنه جنّ لما بدا عليه من الوحشية والغيظ . ورأى الكونت شارل المشهد فتجلت الحقيقة واضحة أمامه وأملى عليه دماغه المحنك وفكره الثاقب بلحظة ما يجب عمله . فاقترب من صديقه بمنتهى الهدوء وقاده الى ستارة كانت على باب الغرفة الجالسة بها راعوث وقال بصوت

منخفض . انتظر قليلا تر الحقيقة ثم دخل تاركا سيسيل جامداً كتمثال محدقاً بعينيه الى الداخل ليرى حل اللغز

دخل شارل وأقبل على راعوث التي كانت دموعها تنهمر على وجنتيها كالمطر وقال والآن ما الذي تنوين فعله . انك تودين ان تسمعي رأيي واني اقول اطلبي الطلاق حباً بمصلحته

وكان صمت كصمت القبور تلاه صوت راعوث يقول : اني اعبده ولا اقدر على العيش بدونه ولكن اذا كان في ذلك هناؤه وحريته فاني مستعدة لهذه التضحية . ولم ينتظر شارل اكثر بل خرج من الغرفة حيث رأى سيسيل كمن أصابته جنة يضحك ثم يبكي ولم يلبث أن رآه يغادر المنزل ركضاً فلبث ينظر اليه عن بعد حتى اختفى فدخل الغرفة وهو يهز رأسه ويقول يالجنون الشباب .

رجع سيسيل الى المنزل ودخل غرفة زوجه فرأى الحصان الخشبي الذي أهداه ابن روزلين لها فتذكر أنه رأى الحصان ولكن اين ؟ امسكه بيديه وقلبه فسقطت منه الرسالة : قرأها وشعر بالارض تميد تحت قدميه : يالله لقد عبثت به تلك الغادرة وتلاعبت بهنائه العائلي حتى كادت تحطمه ولكن أما من امل بالاصلاح : جلس يفكر ولم يشعر إلا ودموعه دموع الندامة تسيل على وجنتيه وسمع وقع خطوات بالحجرة المجاورة فسار حتى وقف ببابها واطل برأسه فرأى ما فتت فؤاده . رأى زوجته جالسة أمام طاولة عليها احدى صوره ورآها تحدق بها ثم تتناولها فتقبلها قبلات حارة باكية متأوهة . ثم رآها تتناول من جانبها علبة تحتوي على أدوات الخياطة وتخرج منها ثوباً حريرياً أبيض لطفل صغير ورآها تضمه الى صدرها وتنظر فيه بحنان كأنها ينظر انها ودموعها ترثي ذلك الطفل التعس الذي سيفقد اباه قبل ان يزي العالم رأى ذلك فشعر بثقل الجبال يهوي على فؤاده فدخل الغرفة وما هي إلا ثوان معدودة حتى كان على ركبتيه مستغفراً وانتصر إله الخير على إله الشر

عكا (فلسطين) اسعى طربى

عن لوحة السينما توغراف